دعوة الخلف إلى طريقة السلف

من

نظم العلامة الداعى إلى الله الغيث المـاطرى

الحبيب عبدالله بن عمر بن أحمد الشاطرى

نفع الله به

آمين

ويليه له

وصية جليلة

مطبعة المدنى

٦٨ شارع العباسية بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا معبود بحق سواه ، والصلاة والسلام على حبيبه ومجتباه ، أفضل الخلائق سيدنا رسول الله « محمد بن عبد الله » وعلى آله وأصحابه ومن تبعه ووالاه .

(وبعد) : فهذه منظومات بديعة ، ونصائح غالية رفيعة ، لعلامة وقته ، العارف بالله والداعى إلى الله الحبيب السيد عبد الله بن عمر ابن أحمد الشاطرى العلوى الحسينى الحضرمى رحمه الله دعا فيها الخلف إلى منهج السلف ، وهو السبيل الأقوم والطريق الأسلم ، الذى جاء به كتاب الله وأوضحته سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن سلكه اهتدى وأمن الردى وفاز بسعادة الآخرة والأولى . أسكن الله مؤلفها من فراديس الجنان أعلاها ونفع بها من حفظها ووعاها ، وعمل بها وراعاها إنه سميع مجيب .

قال راجى عفو ربه :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا تائهاً فى الغىِّ مَن أعماكَ ؟؟ ... وبحُبِّ دار السُّوءِ مَن أغراكَ ؟؟

يا تائهاً فى مَهْمَهِ الغفلاتِ يا ... مُتجـــاهلاً متثبِّطاً بخُطاكَ

كم ذا تعامِلُ بالقبيح لَمَنْ أتا ... حَ لك الجميل ولم يَزَلْ يرعاكَ

تَعْصِى الإله ولم تخَفْهُ وكمْ وكمْ ... أولاكَ من نَعماهُ ما أَوْلاكَ

وَلَكَمْ قبيح كنتَ تُخفيهِ ولو ... عَلِمَ الصديقُ بفعلِهِ لَجَفاكَ

والربُّ يعلَمُه ولم يكْشِفْهُ بل ... أجرَى بألسنةِ العبادِ ثناكَ

فاشكُرْ إلهكَ واجعل التقوى خَفِيـ ... ـرَكَ[1] فى طريقكَ واخْشَيَنْ مولاكَ

* * *

يا من تَرَعْرَعَ فى الشَّبيبةِ راتعاً ... بمَفاوز الشهوات مَنْ أَرْدَاكَ ؟؟

تُمسِى وتُصبح فى اكتساب الفَلْسِ وَالـ ... ـدينار تتقِن جَمعَه لِسِواكَ

والدينُ تُضْبِحُ غيرَ مكترثٍ به ... أتراكَ تعقِل يا فتَى أَتَراكَ ؟ ؟

كم ذا تُحَسِّنُ ظاهِرًا متصنِّعاً ... وتَرُوح مشتغِلاً بحُسْن كِساكَ[2]

وإذا شكى عضوٌ بجسمك قلتَهَا ... تُوالِى الطبيبَ لكى تعالِجَ داكَ

---

(١) أى مانعتك من المعاصى . أو مجيرتك منها .

(٢) أى كسائك وثيابك .

وبذلتَ أموالاً تعزُّ عليك يا مغرور أنْ تسمَحْ بها لِفَتاكا

* * *

ولَكَمْ بقلبك من عيوبٍ جَمَّةٍ قد أمرضَتْكَ وآذنتْ بِقِلاَكا[1]
حَسَدٌ وعُجْب والرياءُ وتكبُّرٌ تبدُو له الآياتُ فى تَمْشاكا
لم تَسْعَ فى إذهاب ذِى الأدوَا ولَمْ تعبأ بهـا فبقيتَ فى أدْوَاكا

* * *

رحَل الرجالُ وخلَّفُوك وأنت فِي قيد التصابِي مُوثَقاً بِهوَاكا
كَمْ تدّعى سَفَهاً بأنك عاقل ولِقُبح وصفِك أبطلُوا دَعْواكا
ولَكَمْ أضَعْتَ فرائضاً ورواتباً وفعلتَ محظوراً فما أجراكا
ولكم رَأوكَ وقد دخلتَ بِمَحْفِلٍ مُتَبَخْتِراً مُستغبِطاً بِحُلاَكا
مستشعراً فيه بأنك ابن بَجْدَتِهِ[2] وأنت التاجُ فى قَرَنَاكا
وعلى جبينك من شعور سفعة ظهرت فأخفى سرَّها صُلَحَاكا
لم يفضحوك ولم يُبيحُوا حالك الـ مذمُومَ بل أبدَوْا جميلَ ثناكا
يتودَّدُون إليك يا ذا رحمةً وتُرىَ للؤمك فيهمُ فتاكا

* * *

---

(١) يبغضك وكراهتك .
(٢) أى العالم فيه . أو الدليل الهادى .

ولكم لمحتك تزدرى العلما وتهـ ـتك عِرْضَهم وبه تلوّثُ فاكا
وتحقّر الفقرَا الغفـ ـاةَ وتشمئزْ زُ بأن تجالس يا فتى كُبَرَاكا
وتنكّرتْ منك الطباع وكمْ بدتْ أخلاق سوء منك ، ما أخزاكا
ولقد جعلتَ الشرعَ يا ذا منكراً والمنكرَ المعروفَ، مَنْ ربّاكا ؟؟

* * *

تستحسنُ التُمباكَ فى فيكَ وتسـ ـتحبى بأن تستعمل المِسْوَاكا
والطبُّ مع الشرعُ قد نهياك عن فعل الأذى ، وبفعل ذَا أمراكا؟؟
لو كنتَ تعكس فى القضية كان أو لَى منكَ لكنَّ اللعينَ غَواكا
فلكم أضعتَ به نفيس المال لو أنفقتَه يا صاحِ فى أُخْرَاكا
ما ينبغى لك يا ابن طه ترتضى خُلُقَ اللئام وشؤمُها يغشاكا
أتراكَ تفعلُهُ وجدُّك حاضرٌ لا ! والذى من نطفةٍ أنشأكا

* * *

وأعيذُ مثلَكَ من جُمودٍ عن شعو رٍ منك أنكَ مخطئٌ حاشاكا
بل أنت تدركُه ونعلمُهُ ولـ ـكنَّ الهوى المذموم قد أغواكا
آهٍ عليكَ ! رضيتَ هذا الدُّون وامْـ ـتحسنته ورغبت عن عَلْيَاكا
وكذبْتَ نفسَك وادّعيت تمدُّنا غالطتَ بل صحّفتَ فى معناكا
ليس التمدن لُبْسَ ثوب فاخر تمشى به مَرَحاً على أصناكا[1]

---

(١) الأصناء : الإخوان .

كلاّ ولا لعبٌ وسُوء تـكاثُرٍ ... ياليتَ شِعْرى امَنْ بذا أفتاكا؟؟
وخلعتَ جِلبابَ الحياء وقُلتَ ذَا ... حُرّيّةٌ أخطأتَ فى مرماكا
وسَهِرْتَ فى الداجى تسامِرُ مِزْهَرًا ... أغضبتَ فيما جئت مَنْ أولاكا
ورفَضْتَ مادرج الكرام عليه من ... سِيَرٍ وأخلاقٍ وقلّ حَيَاكا
ورغِبْتَ فى زِىّ الأجانب معجَبًا ... بِحُلاَهُ واستقبحتَ زىّ أباكا
مهلاً لقد استقْمرتَ فى مَنْسراكَ وامْـ ... ـتَسْمَنْتَ ذاوَرَمٍ فأينَ نُهاكا؟؟

* * *

يا أيها القَطِنُ المهذَّب أين ها ... تِيكَ الفطانةُ مَنْ لها أنساكا؟؟
إنى لأعجبُ منك تؤْثِرُ هَيْكَلَ الْـ ... أعـدَا وتنبِذُ ضِدَّه لِسِواكا
وتظنُّ أنكَ فيك إنسانيّة ... كلاّ! فما حامت أُخَىَّ حِمَاكا
خلّطتَ بل خبّطت فى المعنى ولم ... تَدْرِ الحقائق فاعْترفْ بِعَمَاكا
كَمْ ذا نعدّدُ من مَثالِبِكَ التى ... مِنْ قبحها قد أسخطَتْ مولاكا
ولَكَمْ أمورٍ قد صفحنا عن إبا ... نتها مجاملةً لذاك وذاكا
لفظًا بلا معنى أراك وجُثّةً ... من غير رُوحٍ هٰذه أسماكا
مَثّلى ومثّلك فاقد لشريفِ هاَ ... تِيكَ الصفات ففكّرنْ بِحِجاكا
لم يَحْوِها غيرُ الذى اقتَعَد الشُّهَى ... ورقى المنابر وامتطى الأفلاكا
ما انفكّ يستبق العلا حتى اصْطَفى ... وصَفَا ونُودِىَ لا تخَفْ بُشْرَاكا

وادخل إلى الوادى المقدّس واخلع النّـ ـعلين وانزل وأرضَهُ مَغْنَاكا
قرّبتْ سفينتُه على الجودِى وقيـ ـلَ لغيره بُعْداً خَسِرْتَ يَدَاكا

* * *

إنْ رُمتَ تعرفُ سرّ معنى هٰذه الأ أخلاق حقًّا فاسألن عُلَمَاكا
والزَمْ مجالسَهُم وعظِّمهم وزا حِمْهم وجانِبْ كلَّ مَنْ ألْهَاكا
واعكُفْ على كسب العلوم وعانق الأ أسفار تحمَد فى الشّرَى عُقْباكا
ودَعِ التّصابى واللاهى واتّخذْ لك صاحباً ينقِذْكَ من بَلْوَاكا
ماضرّنا غيرُ الجليس (١) وغرّنا وأضاعنا فَتَحَرَّ فى جُلَسَاكا
ماينفَعِ المجروبَ (٢) قربٌ منك بل بالشّقِم والجَرَب المُضِير (٣) عَدَاكا
فكأنّنى بك قد ندِمْتَ وقد قرعْـ ـتَ السِّن تمذِلُ يا فَتَى نُدَمَاكَا
ياليتنى قد كنتُ فى أهل الهدى فسمعتُ قول الناصحين هُنَاكا
ياليتنى لم أتخذ زيداً ولا عَمْراً خليلاً لا ولا الضُّحَّاكا
ولئن ندمتَ أخِى فلستَ براجعٍ شيئاً ولو بكت الدّما عَيناكَا
هلْ أوبةٌ هل خَشيةٌ هل رَجْعةٌ هل توبةٌ تُرْضِى بها مولاكا!

* * *

قُم فاغنَمِ الخَمْسَ التى منها الشبا بُ بها النّبى المختارُ قد أوصاكا

---

(١) أى جليس السوء .
(٢) يريد الأجرب . وكنى به عن جليس السوء .
(٣) أى الضار .

واسْلُكْ مسالكَ أهلِك الماضين واجْـ ... ـعَلْ فى اقتفائهمُ منتهى مَغْزَاكا
إنى نصحتُك فاسمعنْ نصيحتى ... واعمَلْ بها فهى الشفاء لِدَاكا
واللهُ يعلم أننى بك مشفِقٌ ... متودِّدٌ فأَصِخْ جُعِلتُ فِدَاكا
لايستخفَّنك جاهلٌ لايستفِزْ ... زُكَ أحمقٌ يَبْغِى على نُصَحَاكا
فهُو العدوُّ ولستَ ترضى قولَه ... حاشاك من أن ترتضى حاشاكا
ثم الصلاة على النبى وآله ... تغشاكُمُ والرُّسْلَ والأملاكا

وله رضى الله عنه

يا راتعاً فى الذنب ما أجْرَاكا ... ويحب هَذِى الدارِ مَن أَغْرَاكَا
كم ذا التَّماطُلُ والتغافلُ وانثنا ... دِيِ فى البَطالةِ كيف قَلَّ حَيَاكَا
يا من أضاع زمانَه وشَبابَه ... كم ذا التسوُّفُ والمَنُونُ وَرَاكَا
قِفْ وانْتَبِهْ فالأمر صعب شأنُه ... لاتَشْغَلَنَّك يافتَى أَسْمَاكَا
دع ذكر ليلَى والرَّباب وزَينباً ... ومنازلاً خَطَرَتْ بها سَلْمَاكَا
واذْكُرْ مماتَك واخْشَ ما قدَّمْتَه ... فالشَّيْبُ والقرآنُ قد وَعَظَاكَا

* * *

واعلم بأنَّ الأمرَ ياذا مُبْهَمٌ ... عنِّى وعنك فَجِدَّ فى مَسْرَاكَا
راقِبْ إلٰهَكَ واشكر النِّعْمَا لِمَنْ ... مِنْ نطفةٍ جلَّ الذى سوّاكَا
واعلم بأنكَ يافتَى منه بِمَرْ ... آى فهْوَ فى كلِّ الشئون يَرَاكَا

* * *

تُخْفِي القبائحَ عن أخيك سفاهةً ... وإذا برزتَ تشابهُ النُّسَّاكَا

ماتَنْتَهِي ما تَرْعَوِي ما تَسْتَحِي ... ياعاصياً ! ما تَخْشَيَنْ مَوْلاكَا

ياطاغياً يا باغياً يا قاسياً ... ياراتعاً فى الظُّلْمِ ما أجراكَا

تَعْصِي الإلهَ وأنت تأكل رِزْقَهُ ... هذا لَعَمْرِى الحُمْقُ مِنْهُ ياذَاكَا

فدَعِ الحماقةَ والسفاهةَ واسْتَبِقْ ... عَجِلَ المنايا قبلَ أن تَفْجَاكَا

كم ذا تفرِّط والمنيَّةُ عينُها ... فى كلِّ ما حينٍ مَضَى تَرْعَاكَا

هذا رسولُ اللهِ يدعوكَ فقُمْ ... وانْهَضْ ولَبِّ وخلِّ مَنْ أَلْهَاكَا

هذا كتابُ اللهِ ذِى آياتُهُ الـ ... ـعُظْمَى دعَتْكَ فلَبِّ من نَادَاكَا

هذا الكتابُ يقولُ أينَ أوامِرِى ... وزواجرِى فأَصِخْ جَعلتُ فِدَاكَا

هَلَّا ائتمرْتَ بِمَا أُمِرْتَ وهل تركـ ... ـتَ لِمَا إلهُ العرشِ عنه نَهَاكَا

هلَّا اعتبرتَ بمن ترَحَّل عنك من ... آباك أو أصْفَاكَ أو أبْنَاكَ (١)

أين الركوعُ وأينَ إدمانُ السجُو ... دِ إذا غَفَا الخالِى وأين دُعَاكَا

أين التململ والتضرُّع خشيةً ... من قبح وزرك يافتَى وخَطَاكَا

* * *

لا يَفْتِنَنَّكَ رونقُ الدنيا وما ... قد حَسَّنَتْهُ من الخيال عِداكَا

لا تفتننك صحة وملابس ... ومآكلٌ شغلتك عن أخْرَاكَا

باخَيْبَةَ المسعى وخيبةَ من رَجَا ... إن كان للدنيا غدًا مَسْعَاكَا

---

(٦) أى من آبائك أو أصنائك أو أبنائك.

قم فاغتنم فُرَصَ الحياة وأَخْلِصَنْ ... وأستعمِلِ الآدابَ والمِسْوَاكَا
قُمْ فابكِ ذنبَك فى الدُّجى فلعله ... يُمْحَى وإن لم تَبْكِهِ فتباكَى
لو كنت تعلمُ غِبَّ ما كسبَتْ يدَا ... كَ وما جنَتْه بكَتْ دمًا عَينا كَا
ولَمَا خطَبْتَ الغانياتِ ولم يَلَذْ ... ذَلَكَ المنامُ وما استَطَبْتَ وِطَاكَا
فكأننى بك رافلاً بمَلابِسِ الـ ... ـنَّعْمَا ضُحًى وتَتيهُ فى خُيَلاكَا
فى غفلةٍ فى جفوةٍ فى سكرةٍ ... فى سطوة تختال فى مَلْهَاكَا
فَعَدَتْ فَأَنْشبَتِ المنايا فيكَ أَيْـ ... ـدِيهَا ولا قَاكَ الذى لاقَاكَا
فبكتْكَ أمك والوليدُ وصاحبٌ ... والرَّبْعُ والخِلُّ الذى آخَاكَا
ومجالسٌ ومنازلٌ ومقاعِدٌ ... ومَرَاتِعٌ خطَرَتْ بها قَدَماكَا
وبكاكَ إبنُك ثم نادَى يا أبى ... قلْ لى فماذا يا أبَىَّ عَرَاكَا ؟ ؟
أأبى أجِبْ قولى فمالَكَ صامِتاً ... لاتستطيع من الحِمَام حَرَاكَا
أين التَّصدُّرُ فى المجالس أينَ ها ... تيكَ الإشاراتُ التى تَعْنَاكَا ؟ ؟
أين الخيولُ الصافناتُ وأين ها ... تيكَ القصورُ تركتَهَا لِسِوَاكَا ؟ ؟
يا أيها المغرورَ فى غَفَلاتِه ... عن مثل هٰذا الحال مَنْ أعداكَا ؟ ؟

* * *

يا مَنْ غَدَا متمادِياً فى جهله ... أيطيب عيشُكَ والمنونُ وَرَاكَا
تشكَاتْكَ أمُّك كيف حالُك حينما ... هجَمتْ عليك وقد وَرَدْتَ ثَرَاكَا
وتُمِكْتَ فى جَدَثٍ ضجيعَ التُّرْبِ والدِّ ... ـيدانِ والملَكانِ قد سألاكَا

فإن استطعتَ ولاحظتْكَ عناية ... وأجبتَهم حقاً فيا بُشرَاكا

وإن ارتبكتَ ولم تجب فالويل كلْ ... لُ الويل يا قُبحَ الذى رَبَاكا

وبقيتَ حتى أقلقتْك حوادثٌ ... عُظمىَ وفاجاك الذى فاجاكا

وبُعثتَ من قبر ليومٍ أمرُهُ ... جلَلٌ به كلُّ الورَى تتباكى

يومٌ وما أدراكَ ما يومٌ عظيـ ... ـمٌ ثمَّ ما أدراك ما أدراكا

بعثٌ وحشرٌ ثم ميزانٌ وأهْـ ... ـوالٌ يشيب لها الصغير هُناكا

يومٌ تَرَى الرُّسْلَ الكرامَ به جَثَتْ ... وتحيَّرتْ والإنسَ والأملاكا

* * *

ياحسرةَ العاصى إذا ماقيل قُمْ ... واقرأ كتابك واظْهِرنْ أسواكا

يا حسرةً يأيها العاصى إذا ... شهدَتْ بما قارَ فتهُ أعضاكا

فضحَتْك ما بين الخلائق كلِّهمْ ... فخجِلْت مُستَحيِاً فما أخزاكا

* * *

ثم المجازُ على الصراط أدقُّ من ... حدِّ السيوف فهلْ تُطيقُ لِذَا كا

إمَّا سقطْتَ بأمِّ رأسك فى لظى ... وبما جنَيْتَ الربُّ قد جازاكا

وصرَخْتَ تدعو بالعويل وبالثُّبو ... ر وتستغيث فلا يجاب ندا كا

أو جُزْتَهُ فابْشِرْ وردْ حَوْضاً به الْـ ... ـمختارُ تُسْقَى ما يُزيلُ ظَمَا كا

ثم المصيرُ لجنَّةٍ قد زُخرِفَتْ ... وأُزَيِّنَتْ فاطِبْ بها مَثْوَاكا

فيها القصورُ تشيَّدتِ والحورُ والْـ ... ـولدانُ تزهو فارْضَها مَغْنَاكا

وحدائقٌ وفواكهٌ ومطاعم ومشاربٌ أعطاكها مَوْلاَكَا
لا مَوتَ فيها لا ولا غَمٌّ ولا حَرٌّ وكمْ نِعَمٍ بها أولاَكَا
وأجلُّ من هٰذا رضَا المولى ورؤ يتُه عِيانا مِنْ أعزِّمُنا كَا

* * *

فاضرع إلى الرحمٰن جلَّ جلاله فهو الذى من نطفة أنشاكا
قل يا إلهَ العرشِ ياذا الجُودِ يَا حنَّانُ يامنَّان جُدْ برِضَاكا
وأسلُكْ بناسُبُل النجاة وعافنا مما نحاذِرُ وأهْدِنا بِهُدَاكا
أنت الكريم فلا تُخَيِّبْ سائلاً حاشاك يامَلْجَا الْوَرى حاشاكا
ووسيلتى فى كل ما أرجو شفيـ ـعُ الخَلْقِ جدى خير مَنْ وَالاَكا
صلّى عليه الله ماهبَّتْ صَبا فأمَالَتِ الأثْلاَتِ ثم الرَّاكا[1]

تمت

ويليها وصيَّته البليغة

---

(١) الأثلات : جمع الأثلة ، شجر عظيم صلب الخشب ؛ منه اتخذ منبر سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والراكا : تخفيف الأراك ، وهو شجر معروف تتخذ منه المساويك .

وصـــيَّة

للسيد الناظم نفع الله به كتبها إجابة لبعض طلبته ، وهى :

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

الحمد لله الذى هدانا للاسلام ، الحمد لله الذى هدانا للايمان ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى يا محمد (لا تَمُنُّوا علىَّ إسلامَكم بل اللهُ يَمُنُّ عليكم أن هداكم للإيمان) .

فاشكروا الله أيها الإخوان على هذه النعمة العظيمة والمنحة الفخيمة ، وهى هداية الله لنا للاسلام والإيمان ، اللذَيْن هما من أعظم النعم على الإنسان ، تفضَّل بهما الرحمٰن ومنَّ بهما المَلِكُ الدَّيان ؛ بمحض الفضل والجود والإحسان ، لا بعملٍ قدمناه ، ولا بكسبٍ اكتسبناه ، تُصْبِحُ وأنت تشهد أن لا إله إلا الله ، وتُمسِى وأنت تشهد أن لا إله إلا الله. وكم شخص مِثْلِك أوقعه فى الخِذلان ، وغمره بما يسخط الرحمٰن ، وجعله من أهل الكفر والعِصْيان ، يصبح كافراً ويمسى كافراً ، فلو اختطفته المنايا وهو على ذلك الحال ، لكان من أهل النيران . وأنت أيها العبد المؤمن لو اختطفتك المنايا ، وأنت بخلعة الإيمان ، لكنت من أهل الجنان ، الفائزين برضى الرحمٰن ، المتنعمين بالحورِ والولدان .

فاشكروا الله أيها الإخوان ، على هذه النعمة الجسيمة ، التى من

بها عليكم ربكم ، وكونوا له من الشاكرين ، حتى تبقَى وتدوم ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : (لئن شكرتُم لأزِيدَنَّكمْ) ، وقال تعالى : (فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون) .

* * *

فاقدُرُوا الله أيها الناس حقَّ قَدْره ، وتجنَّبوا عن نهيه وامتثلوا لأمره ، ولينظر كلٌّ بعين بصيرته ، وليتدبر بجميل فكرته ، إلى ما أنعم الله به عليه من النعم ، فإنها كثيرة ، لا يستطيع الإنسان أن يَعُدَّها ، وقد قال الله تعالى: (وإن تعُدُّوا نعمة الله لا تُحصوها) فأولها نعمة الإيجاد ، ثم نعمة الإمداد ؛ فإن الإنسان كان فى العدم ، ليس له وجود، قال الله تعالى (هل أتى على الإنسان حِينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا) أى ثم كان .

ثم إنك أيها الإنسان ، لم تزل تتنقل من أب إلى أم ، ومن أم إلى أب ، وعنايات مولاك وخالقك ترعاك ، وتلاحظك فى جميع أطوارك وتقلباتك حتى وُضِعْتَ فى بطن أمك ، نطفة من مَنِىّ يُمْنَى ، قال الله تعالى : (فلْينظُرِ الإنسانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ من ماء دافِقٍ . يخرُجُ من بين الصُّلْبِ والترائب)

ثم لما أراد الله إيجادك ، وتكميل خلقك احتفظَت العنايةُ

الربانية ، والرعاية الإلهية . هذه النطفة ، تُرَبِّيها وتنَمِّيها فى الرحم أربعين يوماً ، حتى صارت عَلَقة ، ثم لاحظتها أربعين كذلك ، حتى صارت مُضْغة ، وهى قطعة لحم ، ثم صوّرك على أحسن صورة ، على الصورة التى خُلِقَ عليها أبوك آدم ؛ فجعل لك فيها فَماً وسمعاً وبصراً وأمعاءً وغير ذلك ، ولم ينقص فيك عيناً ولا يداً ولا رجلاً ولا شيئاً مما يشوّه خلقك .

ثم لما تمت لك مائة وعشرون يوماً أرْسلَ الملك ، فنفخ فيك الروح ، وبقيتَ مدة فى بطن أمك ومولاك يُغذِّيك ويُنمِّيك ، حتى أبرزك إلى هٰذا العالم ، وأنت على أكْمَل السوى ، كاملةً أعضاؤك ومفاصلك ، تسمع وترى ، وتتحرك « فهل ينكر أحد منكم أيها الإخوان شيئاً من هذه النعم المبسوطة عليه » من غير سؤال منك ، ولا طلبٍ منك ، بل منّ الله ربك بها عليك تفضلاً منه وإحساناً .

ثم إن الله سبحانه وتعالى أخرجك من بطن أمك ، وأنت عارٍ ضعيف ، لا تستطيع أن تدفع عن نفسك ضراً ، ولا تستطيع أن تجلب لنفسك نفعاً ، فسخَّر الله لك الأم والأب أن يلاحظوك ويربُّوك ويتعهدوك ، وأودع فى قلوبهم الحنانة والشفقة عليك ، حتى غسَلُوك من الأوساخ ، وألبسوك ، وقاموا بك المقام التام ، وألهمك الله أن تمص الثدى ، وجعل فيه ثَقْبَةً صغيرة لا يخرج منها اللبن إلاّ بقدر أن تسوغه .

أنظر أيها العبد إلى قدرة مولاك ، كيف أنشأك وسوّاك !

وفى التوراة مكتوب: يا ابن آدم، جعلتُ لك قراراً فى بطن أمك ، وغشّيت وجهك بغشاء لئلا تَفِرّ من الرحم ، وجعلت وجهك إلى ظهر أمك ، لئلا تؤذيك رائحة الطعام، وجعلت لك مُتكأً عن يمينك ، ومتكأً عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فالكبد ، وأما الذى عن شمالك فالطِّحال ، وعلمتك القيام والقعود فى بطن أمك ، فهل يقدر على ذلك غيرى. فلما أن تمت مدتك أوحيت إلى الملَك الموكل بالأرحام ؛ أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه ، لا لك سنٌّ تقطع ، ولا يدٌ تبطش ، ولا قدَم تسعى بها ، فأنبعت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك ، يُجريان لبناً خالصاً ، حاراً فى الشتاء بارداً فى الصيف ، وألقيت محبتك فى قلب أبويك ، فلا يشبعان حتى تشبع ، ولا يرقدان حتى ترقد ، فلما قوى ظهرك ، واشتد أزرك ، بارزتنى بالمعاصى ، واعتمدت على المخلوقين ، ولم تعتمد علىّ وتسترت ممن يراك ، وبارزتنى بالمعاصى فى خلواتك ، ولم تستح منى ، ومع هذا إن دعوتنى أجبتك ، وإن سألتنى أعطيتك ، وإن تبت إلى قبلتك . اهـ .

فانظروا أيها الاخوان ، وتدبروا مخاطبة المولى لعبده ، وملاطفته له هذه الملاطفة ، وتعريفه لعبده هذا التعريف . وتعليمه له هذا التعليم ، وتذكيره له هذا التذكير ، حتى يرجع إليه ويتُوب ، ويخشع ويخاف ،

ويعرف قدر النعم وقدر المنعم ، ثم إنه مع ذلك ، أعطاك المال ، وأعطاك العيال ، وأعطاك الصحة ، وأعطاك العافية ، فارجع إلى الله ، وأعرف قدرك ، وأشهد ضعفك ، ولا تفرُّك صحتك ، ولا مالك ، ولا عيالك ، فإنك ضعيف ، والضعف معجون فى طينك ، كيف وقد قال الله تعالى : (وخُلِقَ الإنسان ضعيفاً) فلو رَمَدَتْكَ عينك ، أو وجعك ضرسك ، أو مفصتك بطنك، أو جرح عضو من أعضائك: لبطلت جميع قواك ، وبذلت جميع مالك ، وما فى يدك فى شفاء ذلك العضو فضلاً عن غيره من بقية الأعضاء ـ ومع ذلك لاتستطيع أن تجلب العافية لنفسك ، إلا بارادة الله وقضائه ، فلا يعافيك إلا مولاك ، ولا يشفيك إلا مولاك .

فحيث علمتم هذا الشأن أيها الإخوان ! فاعلموا أنكم فقراء إلى الله فى كل حين، محتاجون إليه فى كل نَفَس، ومن كان فقيرا إلى مولاه محتاجا ، كيف يعصيه ! كيف يخالفه ! كيف يجترح محارمه ! كيف يقترف مآثمه ! ؟.

كيف تعصِى الذى من نطفة « جَلَّ » سَوَّاكْ ، ثم غذَّاك بإحسانه ونمّاكَ وربّاكْ ! كيف تعصِى الذى خلقك من العدم ، وأسدى إليك هذه النعم ، قال الله تعالى : (يأيها الإنسان ماغرَّك بربك الكريم ، الذى خلقك فسوَّاك فعدَلك ، فى أى صورة ما شاء ركَّبك) .

فتدبروا أيها الإخوان الكتاب ، وما أحتوى عليه من جليل الخطاب .

هذا كتابُ الله يَدْعُوك فقُمْ وانْهَضْ وولَبِّ وخَلِّ مَنْ ألْهَاكَا

فإن الآيات القرآنية تنذرك أيها الإنسان، وتحذرك عواقب العصيان، وتخاطبك بأفصح لسان ، وأوضح بيان : أحذر من الطغيان ، أحذر من مخالفة الدّيان ، والوقوع فى العصيان ، فإن الذنوب والأوزار يُوجِبْنَ الطرد والحرمان ، والوبال والخسران ، والدخول فى النيران ، وفوات الجِنان ـ فيالها من خسارة ما أعظمها ! ويالها من ندامة ما أكبرها ! ويالها من حسرة ما أفجعها ! قال الله تعالى : (ياحسرةً على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزؤن) .

وفى بعض الكتب المنزلة : أما تستحى ياعبدى، تمشى فوق أرضى ، وتمشى تحت سمائى ، وتأكل من رزقى ، وتخالف أمرى ، تتلذذ بنعمى عليك ، وتستعين بها على مخالفتى .

ياتائهاً فى الغَى من أعماكا وبحُب دار السوء من أغراكا
ياتائها فى مهمه الغفلات يا متجاهلا متَبطّاً بخطاكا
كم ذا تعامل بالقبيح لمن أتا ح لك الجميل ولم يزل يرعاكا
تعصِى الإله ولم تخَفه وكم وكم أولاك من نعماه ما أولاكا
ولكمَ قبيح كنت تخفيه ولو علم الصديق بفعله لجفاكا
والرب يعلمه ولم يكشفه بل أجرى بألسِنة العباد ثناكا

فاشكر إلهك وأجعل التقوى خفيـ ـرك في طريقك وأخشَيْنْ مولاكا

أما علمتَ أن الرب سبحانه وتعالى : يقول لبعض بنى إسرائيل : إنى إذا أطاعنى العبد رضيت عنه ، وإذا رضيت عنه باركت فيه ، وفى آثارهَ ، وليس لبركتى نهاية ، وإذا عصانى العبد غضبت عليه ، وإذا غضبتُ عليه لعنتُه ولعنتى تبلغُ السابع من الولد اهـ .

وقد أرسل الله الرسل للابلاغ وللانذار ، فما هذه الغفلة ، وما هذه الغباوة ، وما هذه الجهالة ! فارجع إلى مولاك أيها العبد . أما أرسل الله إليك الرسل ، أما أنذروك ، وبشَّروك ، وحذَّروك ، وعرَّفوك أن الله خلق الجنة وأعدَّها للمتقين ، والطائعين ، والمقبلين ، والتائبين والذاكرين ، والخائفين ، والوَجِلين والمتبتِّلين والمصَلِّين ، والصائمين ، والمزكين ، والصادقين ، والخاشعين ، ونَظَرائهم .

فانظر أيها العبد : إنْ كان فيك شيء من هذه الصفات فاحمد الله تعالى على ذلك ، وأشكره حيث هداك ، وإن لم يكن فيك شيء من ذلك فابْكِ على نفسك .

وعرَّفك الرسل أيها الإنسان : أن الله خلق النار للعاصين ، والكافرين ، والفاسقين ، والجاهلين ، والطاغين ، والماردين ، والمفترين ، والمرتكبين المحرمات ، والتاركين للصلوات ،

والمقصرين في الزكوات ، والآكلين أموال الناس بالباطل ، والمرائين والظالمين ، والمعاملين المعاملات الفاسدة ، والغاشين للمسلمين ، والمطففين في الكيل والميزان ، والنمامين والمغتابين ، والقاتنين والمتشاحنين ، والمتباغضين والمتقاطعين ، والمؤذين للمسلمين ، والسارقين ، والناهبين ، والقاتلين النفوس بغير حق ، وأهل الزنى وأهل الربا ، وأهل الخنا ، والمؤذين للجيران والإخوان ، والمصرِّين على العصيان وأشباههم .

فانظر أيها العبد إلى هذه الصفات السيئة والأخلاق القبيحة ، فإن كنت متصفاً بشيء منها ، فاستغفر الله ، وأرجع إليه ، وتُبْ إليه توبة صادقة ، فإن الله يقبل التائبين ، والمعترفين والمنكسرين ، فأقبل على الله ، وأكثر من الندم والاستغفار ، آناء الليل وأطراف النهار ، وأرجع إلى الكريم الغفار ، فالله سبحانه وتعالى يقول : (يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) وقال تعالى : (الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدِّل الله سيئاتهم حسنات)

وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وقال صلى الله عليه وسلم « التوبة : تجُبُّ ما قبلها » .

فتوبوا إلى الله أيها الإخوان ، وقولوا جميعاً : تُبْنا إلى الله من

جميع المخالفات ، فنسألك اللهم بحقِّ هذا الحبيب الأعظم ، صلى الله عليه وسلم ، أن تقبل توبتنا، وتعجِّل أوْبَتَنا وأن تغفر خَطأنا ، وتجزل عطاءنا ، وتجعلنا من المحبوبين، المقرَّبين لديك ، الراضين المرضيين ، وتجعل خير أيامنا وأسعدها يومَ لقائك ، وترزقنا كمال حسن الخاتمة ، إذا حان الحِمَام ، بجاه خير الأنام ، وأصحابه وأهل بيته الكرام ، يا حنّان يا منّانُ ياعظيم البرهان ، الأمانَ الأمانَ من عذاب النيران ، الأمانَ الأمانَ مما يغضب الرحمٰن الديان ، ياغياث المستغيثين ، ياأرحم الراحمين ، يا أمَل المؤمِّلين

وصلى الله على سيدنا محمَّد وآله

وصحبه وسلم

تمت

[تم طبعها فى ١٥ المحرم سنة ١٣٨٤ هـ (٢٧ مايو سنة ١٩٦٤ م)

بتوفيق الله تعالى]

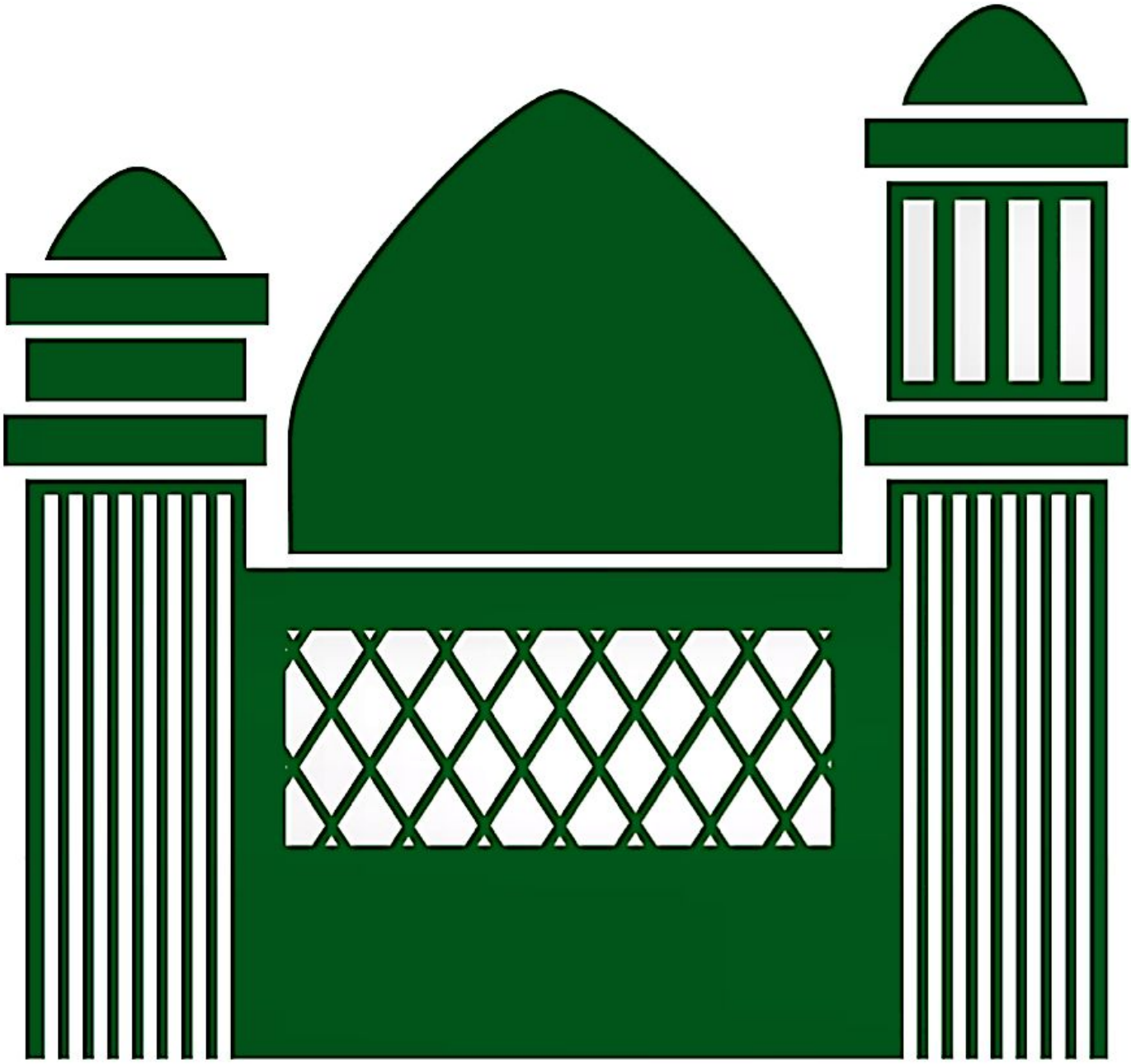

زاوية العيدروس العلمية

بحوطة آل أبي علوي بتريم